

قلعة صلاح الدين بطابا ومزاعم اليهود*

تقع قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون عند رأس خليج العقبة على بعد ٨ كم من مدينتي العقبة وإيلات مساحتها ٣٢٥ م من الشمال للجنوب ٦٠ م من الشرق للغرب ، وتبعد عن شاطئ سيناء ٢٥٠ م

والقلعة تقع فوق تلين كبيرين تل شمالي وتل جنوبي كل منهما تحصين قائم بذاته بينهما سهل أوسط ، ويحيط بهما سور خارجي كخط دفاع أول للقلعة.

ذكر الباحث اليهودي Alexander flinder الذى قام بأعمال مسح أثرى حول جزيرة فرعون عام ١٩٦٨م بمجموعة من الغواصين البريطانيين والإسرائيليين وتركزت الأعمال البحرية في المساحة بين الجزيرة والبر ونشر بحثه عام ١٩٧٧م في مجلة

the international journal of nautical archaeology and Underwater Exploration

تحت عنوان

The island of jezirat faraon its anchient harbour anchorage and marine defence

وهذا البحث هو المصدر الأساسى فى الغرب عن جزيرة فرعون ، وهو مصدر معلومات المرشدين اليهود لزوار قلعة صلاح الدين من إيلات من جنسيات مختلفة وكذلك بعض المرشدين المصريين والأجانب.

يذكر Flinder أن جزيرة فرعون كانت ميناء ومرسى قديم أيام نبى الله سليمان اعتماداً على

١- قطع فخار جمعها بنفسه وأرخها Rothenburg لعصر الحديد الأول المبكر فى القرن ١٤ ، ١٥ ق م.

٢- أنه أثناء ذلك العصر الذى يتوافق مع عصر الملوك فى إسرائيل شهد شمال خليج العقبة نشاط بحرى هائل ، وأن الكتاب الأول للملوك يذكر أن (الملك سليمان صنع أسطول من السفن فى عسيون جابر وهى بالإضافة إلى إيلوث تقع على شاطئ البحر الأحمر فى ارض أدوم)^١

وبالتالى فإن جزيرة فرعون هى عسيون جابر المذكورة فى التوراة .

* د.عبد الرحيم ريحان بركات.

¹A. Flinder, (1977)The island of jezirat faraon its anchient harbour anchorage and marine defence in The international journal of nautical archaeology and underwater Exploration volume 6 p136,.

٣- أن السور الدفاعي المحيط بالجزيرة مكون من كتل حجرية كبيرة وهى من سمات التحصينات اليهودية^٢

٤- أن أبراج الجزيرة كلها مربعة عدا البرج الأمامى وهو الأكثر اكتمالا الآن ، فإن الجزء السفلى منه مربع ، وهو أقدم من العلوى النصف دائرى المكون من كتل صغيرة تشبه المباني التى تنتمى للعصور الوسطى على التل الشمالى^٣ ويقصد أن الجزء السفلى ينتمى للعصر الذى يقصده ولا علاقة له بالمباني الإسلامية.

٥- عثر بالجزيرة على قطع Slag وهى قطع معادن ناتج عمليات صهر الحديد أرخها Rothenburg لعصر الحديد الأول المبكر وإنها دليل على نشاطات لصهر حديد ، يذكر Flinder أنها تتوافق مع عصر الملوك فى إسرائيل^٤ .
والرد على ذلك :-

بالنسبة للنقطة الأولى والثانية أن جزيرة فرعون هى عسيون جابر ، فقد نفى ذلك عالم آثار يهودى قام بأعمال حفائر فى معظم المناطق بسيناء أثناء احتلالها وهو Avener Raban فذكر أن الميناء الثالث النشط أيام الملك سليمان هو عسيون جابر وأن وصف التوراة له أنه إيلوث وهو ميناء أيله فى العصر الرومانى عند الطرف الشمالى لخليج العقبة^٥ .

كما نشر عالم الآثار Glueck عام ١٩٣٩م أن ميناء عسيون جابر تم تحديده بتل الخليفة وهى الأكمة التى تقع غرب العقبة^٦ ورغم أنه اعتمد فى رأيه هذا على ما عثر عليه من منقولات بالطبع درسها دراسة وافية لكنه عاد فتنازل عن رأيه عام ١٩٦٥م فقط هنا علامة استفهام.

ويذكر نعوم بك شقير فى كتابه تاريخ سيناء عن قلعة صلاح الدين (ظن بعض السياح أنها عسيون جابر المذكورة فى التوراة بقرب أيله ولكن خرائب قلعتها تدل على أنها أحدث جداً من ذلك العهد والأرجح أنها من بناء صلاح الدين الأيوبي وأنه بناها لمقاومة الصليبيين وهى تشبه فى بنائها قلعة صلاح الدين فى رأس سدر قلعة الجندى^٧ .

² ibid p138

³ibid p135

⁴ibid p136

⁵A. Raban ,The ancient harbours of israel in biblical times from the neolithic period to the end of the iron age in A. Raban (et al) Harbour archaeology , oxford , 1985 , p29

⁶. Flinder op cit p137

^٧نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، دير سانت كاترين سيناء ، ١٩٨٥ ، ص ٣٢ .

وقد ذكر بعض السياح الإفرنج انه مر بالجزيرة أواسط القرن الماضي فرأى حجراً فوق الباب عليه اسم مشيد القلعة وتاريخ بنائها ولكن هذا الباب قد تهدم كما تهدم السور^٨.

ونستخلص من ذلك أن وصف التوراة نفسها لميناء عصيون جابر لم يشر من قريب أو بعيد إلى جزيرة فرعون كما أن آراء علماء الآثار في تحديد المكان متضاربة وغير مؤكدة.

أما بالنسبة للنقطة الثالثة وهي أن السور الدفاعي بالجزيرة من سمات التحصينات اليهودية فإن Flinder يناقض نفسه ويذكر ان التحصين غير مقصور على ملوك اليهود فقط فمن الممكن أن يكون متأخر عن القرن الأول الميلادي.

وأضيف على ذلك أنه لا يوجد أسلوب مميز للتحصينات اليهودية في عهد نبي الله سليمان لأنه لا يوجد أي تحصينات باقية من عهد نبي الله سليمان، وفي هذا يطرأ على أذهاننا سؤال يطرحه Flinder نفسه هل كان نبي الله سليمان في حاجة لتحصين الجزيرة؟ وضد من؟ وعلاقات نبي الله سليمان كانت سلمية مع كل جيرانه، ويجب عن ذلك Flinder قائلاً فقط، أن التطورات البحرية الدفاعية على جزيرة فرعون هي ملائمة بشكل كامل لسليمان البتاء الذائع الصيت بتحصينات المدن^٩.

ولا يوجد دليل أثري واحد بالجزيرة يثبت صحة ذلك، بل يوجد الدليل الأثري على أن هذا السور أنشأه القائد صلاح الدين لتحصين القلعة ضد غارات الصليبيين وهو نص تأسيسي خاص بالسور عثر عليه في الحفائر التي قامت بها منطقة آثار جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية عام ١٩٨٩م^{١٠} في التحصينات الخاصة بالسور بالجهة الجنوبية الغربية قرب البحيرة الداخلية، وهي لوحة من الحجر الجيري مكتوبة بالخط النسخي المنقط في خمسة أسطر هذا نصها

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم أعمر هذا
- ٢- السور المبارك العبد الخاضع لله
- ٣- على بن سختكمان الناصري العادلي في أيام
- ٤- الملك الناصر صلاح الدين بتاريخ شهر المحرم سنة أربعة وثمانون

^٨ المرجع نفسه ص ٣٢

عبد الرحمن ذكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٢٣

^٩ Flinder op cit p 138.

^{١٠} الحفائر تمت تحت إشراف هيئة الآثار المصرية (المجلس الأعلى للآثار حالياً) وعثر على اللوحة في موسم أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩ الذي إشتراك فيه محمد كمال - محمد عمران - أحمد عيسى - عبد الرحيم ربحان - خالد عليان - جمال سليمان تحت إشراف عبد الحفيظ دياب مدير المنطقة

٥- وخمسئته وصلى الله على سيدنا محمد وهذا السور هو خط الدفاع الأول عن القلعة ، وهو مبنى بالحجر الناري الجرانيتى المأخوذ من محجر القلعة بالثل الشمالى المقام عليه التحصين الشمالى بالقلعة كما اكتشف فى الحفائر أجزاء من هذا السور بالناحية الغربية والشمالية بسمك يتراوح بين ١،٥ إلى ٢م تم ترميم بعض الأجزاء منه أما السور من الناحية الشرقية فكان أكثر سمكاً ومزود باستحكامات مكونة من حجرات صغيرة خلف السور ، وهذا يرجع لسببين:

أولاً : أن القلعة كانت مهددة بالهجوم من هذه الناحية ثانياً : أن عمق الخليج من هذه الناحية يبدأ من ٨٠م فأكثر ولا يوجد أى حاجز للأمواج خصوصاً أن مياه خليج العقبة شديدة الملوحة ، وهذا ما أثبتته الأيام فقد تأكلت الأجزاء العليا من هذا السور وتكلست الأساسات من شدة الملوحة ، أما الناحية الغربية فيبينها وبين بر سيناء ٢٥٠م وعمق الخليج لا يتجاوز ٢٠م والجزيرة نفسها تقوم كحاجز للأمواج.

أما النقطة الرابعة والتي اعتمد فيها Flinder على أن البرج الوحيد المكتمل وهو البرج الأمامى من أسفل مربع ومن أعلى مستدير ، وعليها فأرخ الجزء العلوى للعصور الوسطى والسفلى المربع لعصر نبي الله سليمان. والرد عليه أن الجزء السفلى مكون من كتل حجرية كبيرة وضعت كأساس للبرج لحمايته من مياه الخليج شديدة الملوحة وتأخذ الشكل الدائرى أيضاً ولكنها غير منتظمة قليلاً لكبر حجمها فخيّل له أن الجزء السفلى مربع ، حتى لو إفترضنا جدلاً أنه برج مربع فقد إشتراك صلاح الدين وأخيه العادل الذى كان ينوب عنه فى حكم البلاد فى بناء المنشآت التى تمت فى عهد صلاح الدين ، وكانت هناك الأبراج الدائرية والمربعة.

أما النقطة الخامسة وهى العثور على قطع معادن ناتج عمليات صهر حديد Slag ويزعم Flinder أنها تعود لعصر الحديد الأول المبكر الذى يتوافق مع عصر الملوك فى إسرائيل ، فهذا دليل ضده ، فلقد عثرنا أثناء الحفائر موسم ٨٨ - ١٩٨٩م^{١١} على عديد من هذه القطع فى منطقة واحدة بالسهل الأوسط بالجزيرة وهى ناتج عمليات تصنيع داخل فرن ، عثرنا عند مدخل هذا الفرن على النص التأسيسى الخاص به ، وهى لوحة من الحجر الجيرى ٤٨ × ٣٠سم مكتوبة بالخط النسخى المنقط من ستة أسطر نصها كالاتى .

^{١١} قامت بالحفائر منطقة آثار جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية واشترك فى هذا الموسم طارق النجار - محمد عمران - عبد الرحيم ريجان - خالد عليان - جمال سليمان تحت إشراف عبد الحفيظ دياب مدير المنطقة

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم أعمر هذا الفرن المبارك
- ٢- العبد الخاضع لله على بن سختكمان الناصري
- ٣- العادلي في أيام الملك الناصر يوسف بن أيوب
- ٤- صلاح الدنيا والدين محيي دولت أمير المؤمنين
- ٥- سلطان جيوش المسلمين وذلك بتاريخ تسعة
- ٦- شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وفى هذا الفرن وجد كم من التبر لمعادن منصهرة ، وتم كشف حوض صغير بجوار الفرن لوضع المعادن الساخنة ليتم تبريدها ، وكشفت مصطبة أمام الفرن وجد بها كم من الرماد مختلط بقطع Charcoal وهو الفحم المستخدم فى القرن إذا فمن الطبيعي أن هذه فرن لتصنيع أسلحة تخدم جيوش المسلمين الواردة بالنص وسلطانهم الذى أخذ على عاتقه نصره الإسلام والمسلمين ، خصوصاً وأنا عثرنا على الفرن الخاص بعمل الخبز داخل القلعة.

ويذكر Flinder أنه عثر على أوانى فخارية بيزنطية غرب الجزيرة على عمق ٧ إلى ٩ م منتشرة فى مساحة كبيرة ، يتميز بعجينه لونها بنى فاتح ، وحزوز أفقية حول البدن ، كما عثر على أمفورات مخروطية^{١٢} ، ونحن نؤكد التواجد البيزنطى ، فلقد كشفنا عن كنيسة بالجزيرة موسم ٨٨ - ١٩٨٩ حيث استغل جستنيان جزيرة فرعون فى القرن السادس الميلادى فى غرض تجارى وأسس اتصال مباشر مع الهند عن طريق الميناء البيزنطى على خليج العقبة وهو ميناء أيلة حيث تتقل الهند تجارتها عن طريق البر حتى تصل مدخل خليج العقبة عند جزيرة Iotab (جزيرة تيران حالياً) ومنها فى خليج العقبة إلى أيلة ثم براً إلى فلسطين وسوريا ومنها للبحر المتوسط وأوربا^{١٣}. لذلك ترك جستنيان بجزيرة فرعون حامية تعمل على تأمين طريق القوافل التجارية وأنشأ فوق التل الجنوبى فنار لإرشاد السفن ، لذا لم يكن لجزيرة فرعون دور إستراتيجى عسكري يستلزم إقامة منشآت لتحقيق هذا الغرض ، ورغم أن الدور البارز لجزيرة فرعون المثبت أثرياً وتاريخياً كان فى عهد القائد صلاح الدين ويعلم ذلك Flinder نفسه والذي عثر على منقولات عديدة تعود للعصر الأيوبي إلا أنه تغاضى عن هذا تماماً وأشار بشكل عابر فى بحثه الذى يبلغ ١٣ صفحة فى ثلاث سطور إلى العثور على فخار قليل من العصور الوسطى وأن التل الشمالى فقط عليه مبنى يعود للعصر الإسلامى القرن ١٢م وأن الجزء العلوى من البرج الأمامى يشبه المباني التى تعود للعصور الوسطى على التل الشمالى. وركز على الدور الغير مثبت أثرياً ولا تاريخياً لأغراض سياسية ليعطوا لأنفسهم حقوق فى أماكن لا حق لهم فيها ،

¹² Flinder op cit p 131

¹³History of the byzantine empire 325-1453 AD, Madison, 1952, p 167 ،A. Vasiliev.

واعترف Flinder بنفسه في نهاية بحثه بأنه في غياب الحفائر المنظمة فإن كل هذه الآراء تصبح تخمينية^{١٤} بعد أن صال وجال وبنى قصوراً فوق رمال ناعمة. وأقول له في ظل الحفائر المنظمة جاء التأريخ القاطع للمنشآت على جزيرة فرعون من خلال ما تم اكتشافه ، وهذا ليس بغريب على قائد ذو فكر استراتيجي عسكري استغل سيناء وأنشأ بها التحصينات العسكرية مثل قلعة الجندي برأس سدر وقلعة طابا وكان له طريق حربي بسيناء يسمى درب الشعوى، وأنشأ عدد كبير من السفن استخدمها في مهاجمة أيلة حتى سقطت في قبضته عام ٥٦٦ هجرية ١١٧٠م وليؤمّن حدود مصر الشرقية ضد هجمات الصليبيين بدأ في إنشاء قلعة طابا منذ ذلك الوقت والتي تحوى عناصر دفاعية تتمثل في سور خارجي كخط دفاع أول يخترقه ٩ أبراج دفاعية ثم تحصينين ، شمالي ويخترقه ١٤ برج من بينها برج للحمام الزاجل ، وتحصين جنوبي صغير حيث استغل كل التل حول الفنار وأنشأ سور دفاعي وأبراج مستغلا المستويات المختلفة من التل لتناسب الغرض العسكري وتشمل القلعة عناصر إعاشة من غرف للجنود وفرن لصناعة الخبز ومخازن غلال وخزانات مياه وحمام بخار ، وأماكن لإقامة الشعائر الدينية وهو مسجد القلعة وعليه لوحة تأسيسية باسم باني المسجد حسام الدين باجل بن حمدان.

وقد استولى بلدوين الأول الملك الصليبي على الجزيرة أيام الفاطميين ١١١٦م ، ولم يقيموا أى تحصينات تذكر خشية أن تقع في أيدي المسلمين ، وهذا ما حدث بالفعل فقد استردها صلاح الدين ٥٦٦ هجرية ١١٧٠م^{١٥} وأنشأ عليها قلعته التي كان لها دور هام في الحروب الصليبية فحين حاصرها أرناط صاحب حصن الكرك ١١٨٢م بقصد إغلاق البحر الأحمر في وجه المسلمين واحتكار تجارة الشرق الأقصى والمحيط الهندي بالاستيلاء على أيلة شمالاً وعدن جنوباً ، فتصدى له العادل أبو بكر أيوب بتعليمات من أخيه صلاح الدين ، فأعد أسطولا قويا في البحر الأحمر بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ متولى الأسطول بديار مصر ، فحاصر مراكب الفرنج وأحرقها وأسر من فيها^{١٦} وتعقبها حتى شواطئ الحجاز وكانت تمهيدا لموقعة حطين معركة الكرامة والعزة واسترداد الحقوق العربية والإسلامية بفلسطين .

¹⁴Flinder , op cit p138

١٥ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٧ .

١٦ سعيد عاشور ، الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٩